صمتَ مُساعدُ السلطان لهذا الجواب المقنع وذهب .

- ٧ -

ومَّرتْ سنواتٌ أخرى . .

وحمارُ السلطانِ حديثُ الناس ، وكلهم متعجبون مما يحدث ، وسعيد جادٌّ في أمره . .

وفوجئ بالسلطان نفسه مع مساعديه ، وقد أطلَّ موكبُهم من بعيد .

أسرعَ سعيد ، وأخرجَ الحمارَ من الاصطبل وقد صارَ هَرِماً لا يَقوى على السَّيْر ، وأدخلَه إلى أكبرِ غرفةٍ بالدار ، وساعدَه أولادُه وزوجته ، وأجلسوا الحمار على ظهرِه ، وحملَ سعيد عصاً وراح يضربه على حوافره .

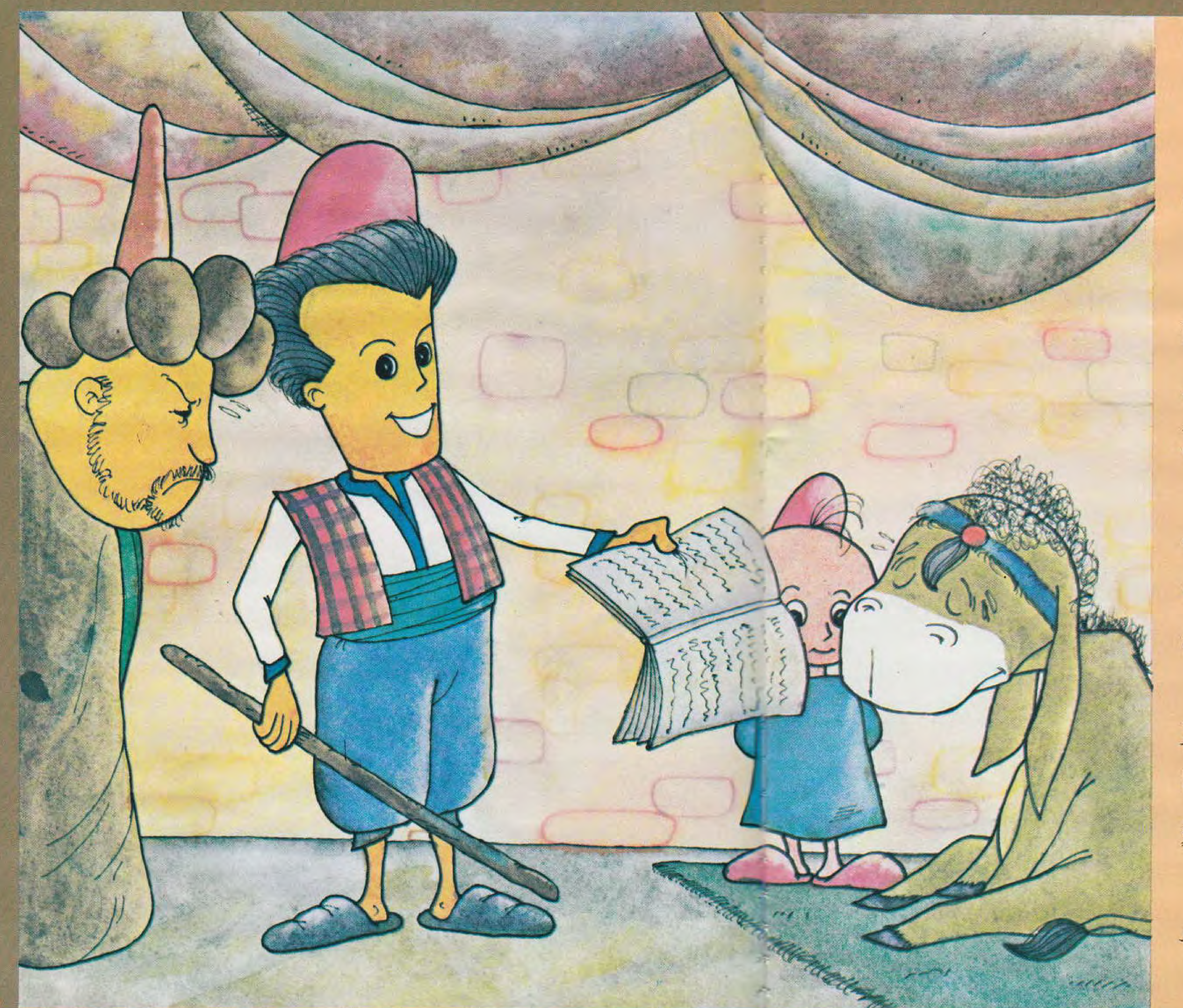
ورأى السلطان المنظرَ فصاح :

- مالك تضربُ الحمار ؟

قال سعيد :

- مولاي . . لقد نسيَ حمارُكم





المحترمُ أن يحفظَ درسَ البارحة ، لهذا كان عليَّ أن أعاقبه .

لكنَّ السلطان قال بحزن :

– لا تَقْسُ عليه ياسعيد . . فهو لم يتعوَّد الضرب في حياته .

فقال سعيد :

– سأتركه هذه المرَّة إكراماً لمولاي . . ولكن لا تنسَ يامولاي أن الضربَ مفيدٌ له ، فأنا أخافُ أن يُهملَ في دروسَه .

وطلبَ السلطانُ من سعيد أن يُسْمِعَهُ شيئاً من الحمار ، فقد طال شوقُه إلى سماعِ حمارِه يتكلم ، لكن سعيد قال :

– لا يامولاي . . إنني سأتركُ الأمرَ مفاجأةً لكم ولجميع الناس ، عندما أعطيه كتاباً ليقرأه أمامَ الجميع بطلاقةٍ تامة . .

ابتسمَ السلطان ، وسعلَ ، وهو راضٍ عن كلام سعيد ، وذهب .

قالت زوجةُ سعيد له :

- يازوجي العزيز ! . . كيف فعلتَ هذا الأمر المستحيل ؟ هل يمكن لحمارٍ أن يتعلَّم القراءةَ والكتابة ؟

أجابَ سعيد :

- لا . . طبعاً . .

فصاحت زوجتُه :

- ياويلي . . تقول لا . . وبكلِّ هدوء . . بل وتبتسم أيضاً ، أنسيتَ أنَّ السلطانَ سيقطعُ رأسَك ؟

قال سعيد :

- إسمعي ياأمَّ أولادي . . ليس عليَّ أيُّ خطر ، بل إنني أضحكُ على هذا السلطان الأحمق . .

فمدَّةُ تعليمِ الحمار اثنا عشر عاماً . وقبل أن تنتهي هذه المدّة فإمّا أن يموتَ السلطانُ العجوز أو يموتَ الحمارُ أو أموتَ أنا ، وهانحن في أحسن



حال . . وإذا حدثَ أيُّ أمرٍ من هذه الأمور الثلاثة أكون قد ضحكتُ على السلطان . .

ولم تُجِبْ زوجتُه ، فدائماً كانت إجابات سعيد ذكيةً ، لا تتركُ للمُقابِلِ أيَّ تعليق ، حتى لو كان سلطاناً ! . .

— ٩ —

ومرَّتْ سنوات . .

الحمارُ كان يهرم ، والسلطان كان يهرم ويمرض . . بل كادَ يموتُ في إحدى المرات . .

أما سعيد فكان يهرم أيضاً ، ولكنه كان في أحسن حال .

— ١٠ —

أفاقَ سعيد ذات يوم ، وإذا بحمار السلطان يُعاني سَكَراتِ الموت ، وأخبرَ السلطانَ بذلك ، فجاءَ في موكبٌ مَهيب ، ونزلَ السلطانُ ومساعدوه في دار سعيد ، ورأوا الحمارَ في نَزْعِهِ الأخير ، بينما وقف سعيد وعائلته صامتين ، وقد ظهروا كأنهم في أقصى حالات الحزن . .

ولم يمضِ حينٌ من الوقت حتى كان الحمارُ جثةً هامدة ، بينما علا بكاءُ السلطان ومساعدوه وحاشيته ، لا . . بل علا صوت سعيد أيضاً وهو يبكي ويذكرُ مَناقبَ تلميذِه النجيب .

وشيَّعَ الحضورُ حمارَ السلطان إلى مَثواه الأخير ، وهنا تقدَّمَ سعيد إلى السلطان قائلاً :

- إعلم يامولاي أننا خسرنا إحدى عجائب الزمان ، فقد أظهر «زهران» في أواخر أيامه قدرةً كبيرة على التعلُّم ، وكان يحفظُ الدرسَ من أولِ مرَّة ، وكنتُ أعجبُ من حِدَّةِ ذكائه ، فقد علَّمتُ حميراً كثيرةً ، إلا أنَّ حمارَكم كان أفضلَهم جميعاً . .

ولم يردّ السلطان بكلمة ، بل كان يبكي ويسعل ، ثم يسعل ويبكي .



- ١١ -

وحملَ سعيد إلى السلطان في اليوم التالي عدةَ دفاتر ، قال سعيد إنها من دفاتر الإملاءِ للحمارِ «زهران» . وهنا أمرَ السلطانُ أن توضعَ في متحفِ المدينة .

ثم عاد سعيد وحملَ للسلطان مئات الليرات الذهبية قائلاً :

- يامولاي . . لا يحقُّ لي أن آخذَ هذه الليرات الذهبية بعد أن فقدتُ تلميذيَ العزيزَ «زهران» . .

ولكن السلطانَ غضب ، وعدَّ ذلك إهانةً له ، لا بل صاحَ في وجه سعيد . . حتى جعلَه يخرجُ من غرفته . .

وكانت هذه آخر مرة يدخل ويخرج فيها سعيد إلى غرفة السلطان .

وماتَ السلطان ، وكانت وصيتُه غريبةٌ ، حيث أوصى أن يُدْفَنَ إلى جانبِ حمارِه «زهران» وتنتهي الحكاية .

قالوا : إنَّ مُساعدي السلطان قتلوا سعيداً ، وأخذوا كلَّ ثروته . .

وقالوا : بل هجمَ الناسُ قصرَ السلطان وقتلوا المساعدين . .

وقالوا أيضاً : بل صار سعيد أميرَ تلك المدينة ، لأنه كان الذكيَّ الوحيد على ما يبدو . .

أقوالٌ كثيرةٌ ، ولكنَّ الصحيحَ أن الجميعَ غادروا هذه الدنيا منذ زمن طويل .

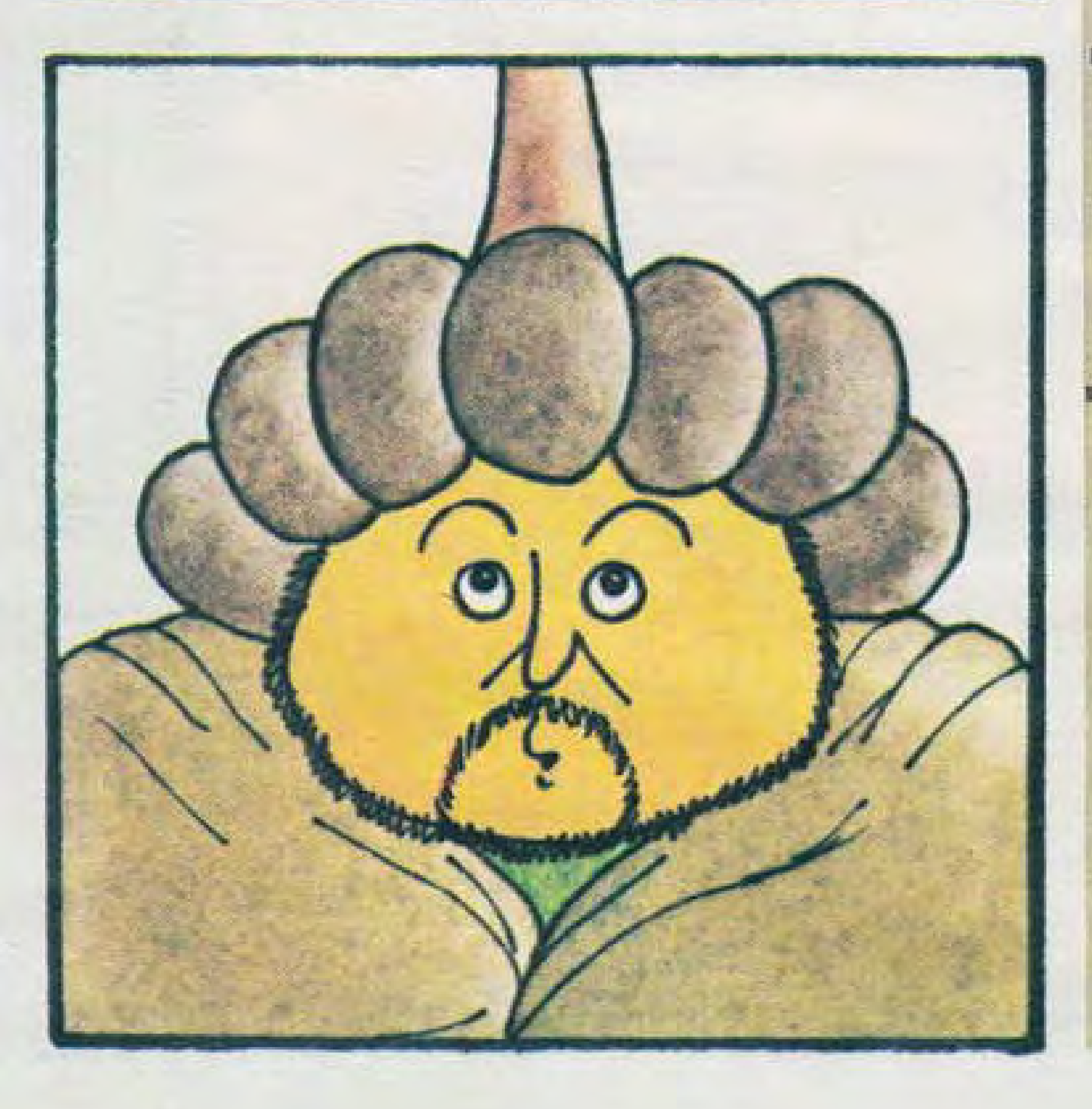


الحِمارُ والسُّلطانُ

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . ٢٣ حكايات شعبية







أعدّها بتصرُّف
بيان الصّفدي

رسوم : أثير ساطع

الإخراج الفني : نجم الربّيعي

- ١ -

أمرَ السلطانُ مُساعديه حضورَ اجتماعٍ هام ، فأسرعَ المساعدون إليه بلهفة .

قال أحدُهم :

- لا بُدَّ أن السلطانَ يعتزم فرضَ ضريبةٍ جديدة .

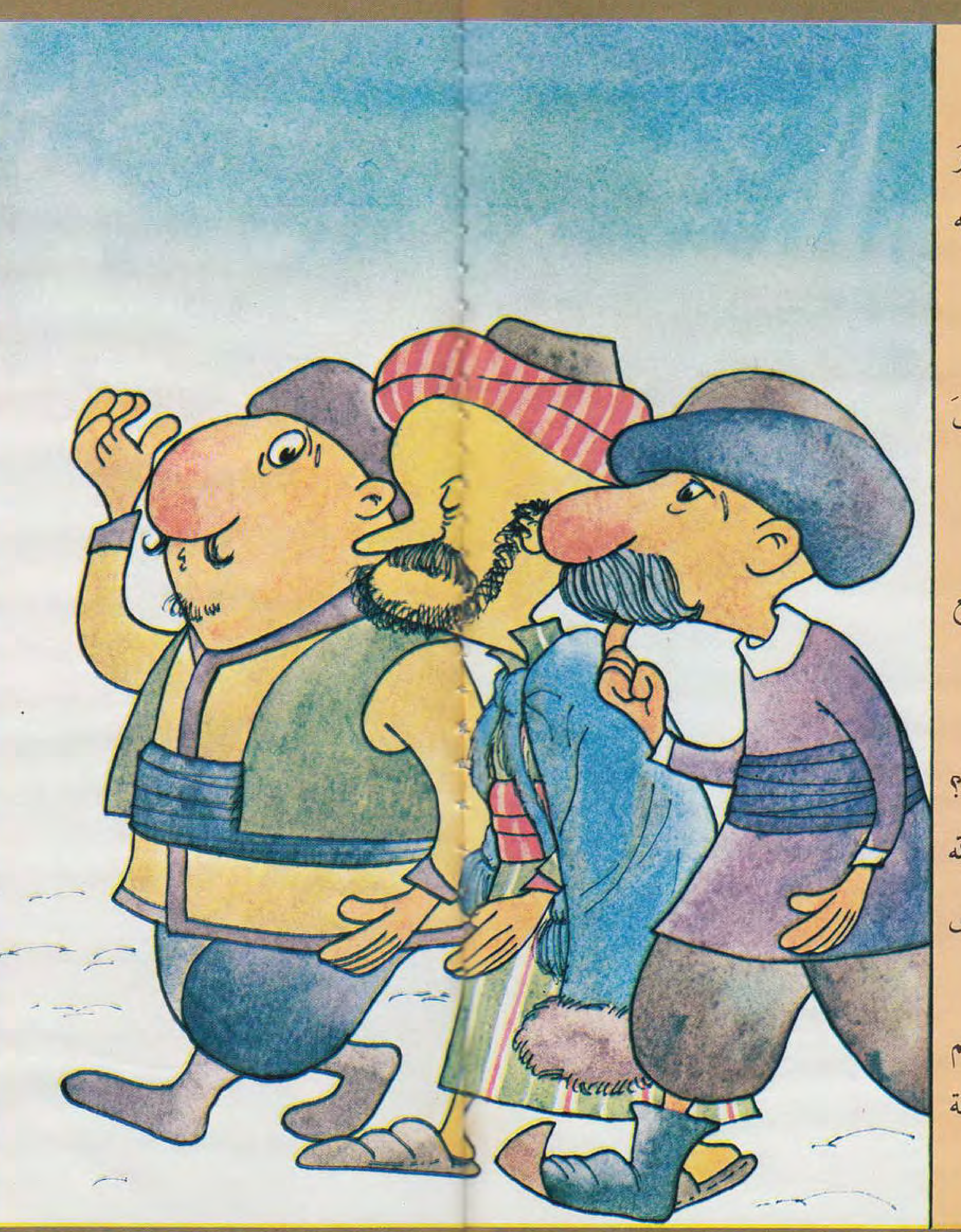
وقال آخر :

- يجوز أن يعملَ السلطان تحقيقاً مع أحدِنا .

فردَّ آخر :

- لماذا تتكلمون مثل هذا الكلام ؟ لقد بدأتُ أشعر بالخوف . . لعنَ الله الساعةَ التي وُلِدْنا فيها في أرض هذا السلطان .

ولم يَطُل بهم الكلام ، فإذا بهم دخلوا القصر ، وعندما دخلوا غرفة السلطان حيُّوه أحسنَ تحية .



كان السلطانُ يبدو مهموماً ، فلم يردَّ على تحيتهم ، بل اكتفى بهزّ رأسِه ، وأشارَ إليهم أن يجلسوا ، فجلسوا خائفين . وأخيراً تكلَّمَ السلطان :

- إسمعوا ، لقد عزمتُ على أمرٍ كبيرٍ ، وأريد أن تساعدوني فيه ، لأنه إذا نجحَ فسيكون نصراً كبيراً لنا . .

فأجاب الجميع :

- نحن جميعاً تحتَ أمرِ جلالةِ السلطان .

قالَ السلطان العجوز بعد أن سعلَ عِدَّةَ مّرات :

- عليكم أن تبحثوا لي عَمَّنْ يستطيعُ القيامَ بهذه المهمَّة .

قال أحدُ المساعدين :

- أيَّةُ مهمَّةٍ يامولاي ؟

سعلَ السلطانُ وأجاب :

- كُلُّكم تعرفون حماري «زَهران» .

فأجابوا جميعاً باهتمام :

– أجل . . أجل ومن لا يعرف حمار السلطان !

فتابعَ السلطان :

– أُريد واحداً يستطيع تعليمَه القراءةَ والكتابة ، وسأعطيه جائزةً كبيرة إذا نجحَ في ذلك ، وسأجعلُ من هذا الحمار خيرَ ذكرى لي بعد مماتي . .

صمتَ المساعدون وهم يسمعون هذا الكلام ، ولم يستطعْ واحدٌ منهم أن يقولَ للسلطان إنَّ الحمار لا يمكن أن يتعلّمَ القراءةَ والكتابة . ومع ذلك فقد تّحركَ الطَّمعُ في نفسِ أحدهم ،

فهبَّ قائلاً :

– مولاي . . وإذا استطاع أحدُنا أن يُعَلِّمَ الحمارَ .

قال السلطان :

– لا بأس . . لكن هل تعلمُ جزاءَ الذي يفشلُ في مهمته ؟

قال المساعد :

– لا يامولاي .

فأضافَ السلطان :

– سأقطعُ رأسَه في الحال .

هنا تحسَّسَ المساعدُ رقبتَه ، وقال :

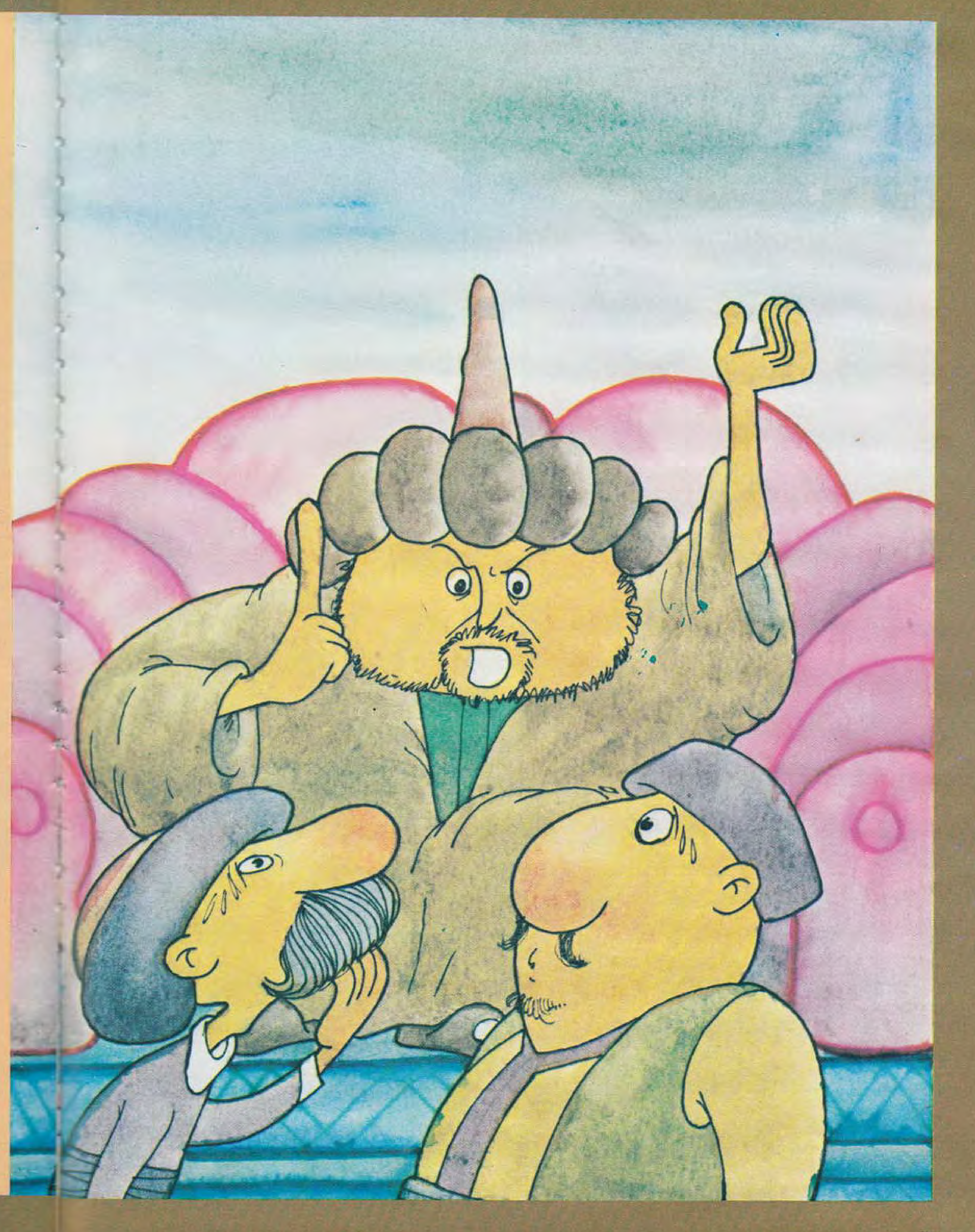
– لا يامولاي . . إنها مهمَّةٌ صعبة جداً ، وتحتاج إلى مهارة وعلم . . إذن سنبحث عمَّن يستطيعُ القيامَ بها .

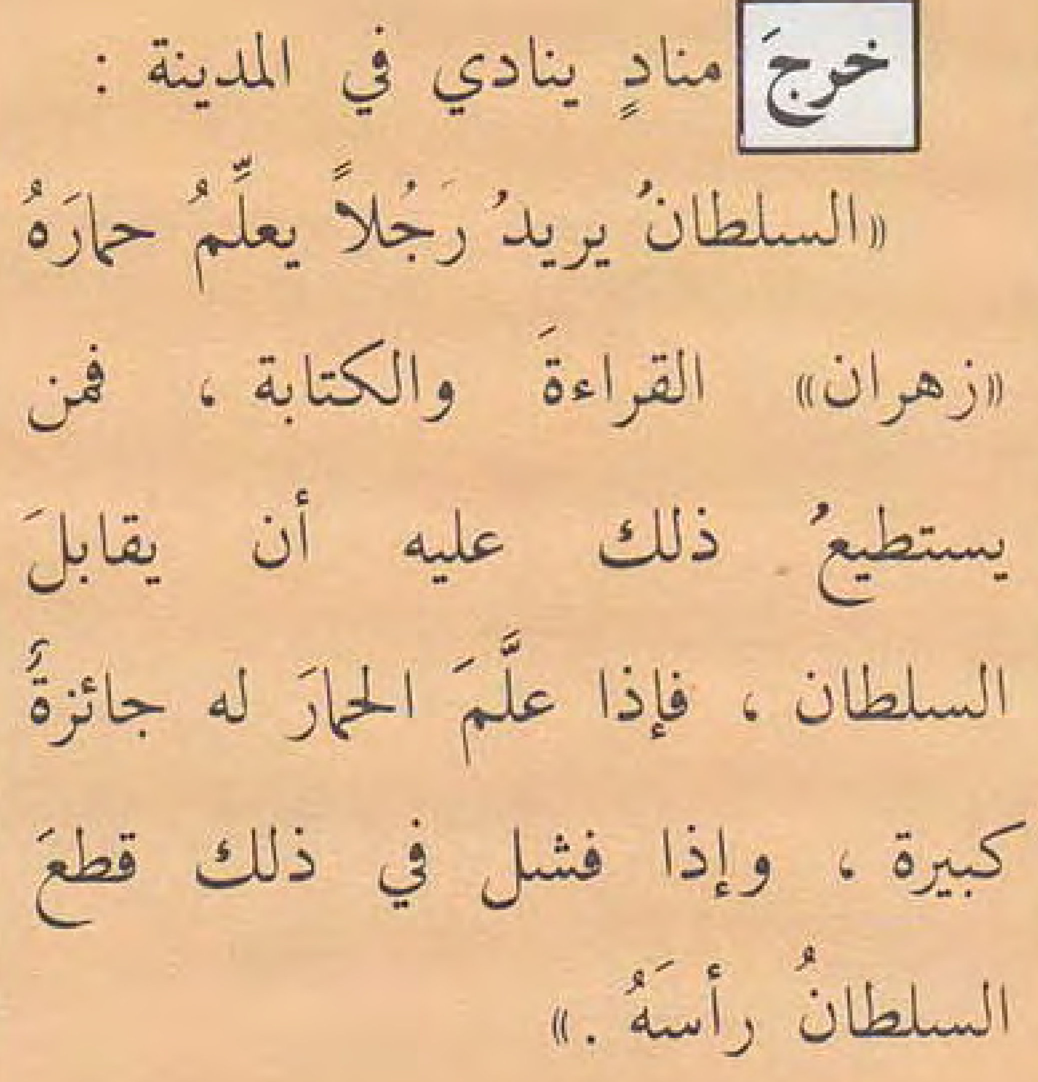
قال أحدُ المساعدين :

– والآن ماذا نفعل ؟

فقالَ السلطانُ غاضباً وهو يسعل :

– الآن تخرجون . . وبسرعة .





- ٢ -

خرجَ منادٍ ينادي في المدينة :

«السلطانُ يريدُ رَجُلاً يعلِّمُ حمارَهُ «زهران» القراءةَ والكتابة ، فمن يستطيعُ ذلك عليه أن يقابلَ السلطان ، فإذا علَّمَ الحمارَ له جائزةٌ كبيرة ، وإذا فشل في ذلك قطعَ السلطانُ رأسَهُ .»

وتعجَّب الناسُ لهذا الأمر ، وقد عرفوا الكثير عن حماقة السلطان ، أما أن يصلَ به الأمرُ إلى هذه الدرجة فذلك لم يحسبوا له أيَّ حساب . .

ومَّرتْ عدَّةُ أيام ، وفي كل يوم يخرج المنادي صائحاً حتى بُحَّ صوتُه ، وبرزت عروقُ رقبته . بينما كان الناس يسخرون في هدوء من جنون ذلك السلطان .

- ٣ -

وذات يوم مرَّ بالمدينة رجلٌ فقير، وسمعَ صوتَ المنادي، ودُهِشَ في البداية، فكيف يريدُ السلطانُ أن يعلِّمَ حمارَهُ القراءةَ والكتابة، بل قال ذلك الفقير في سِرِّه :

– ولماذا لا يعلّمُ الناسَ القراءةَ والكتابة قبل أن يعلّمَ حمارَهُ.

وتوجَّهَ إلى قصر السلطان، وقد اعتزمَ أمراً هاماً.

- ٤ -

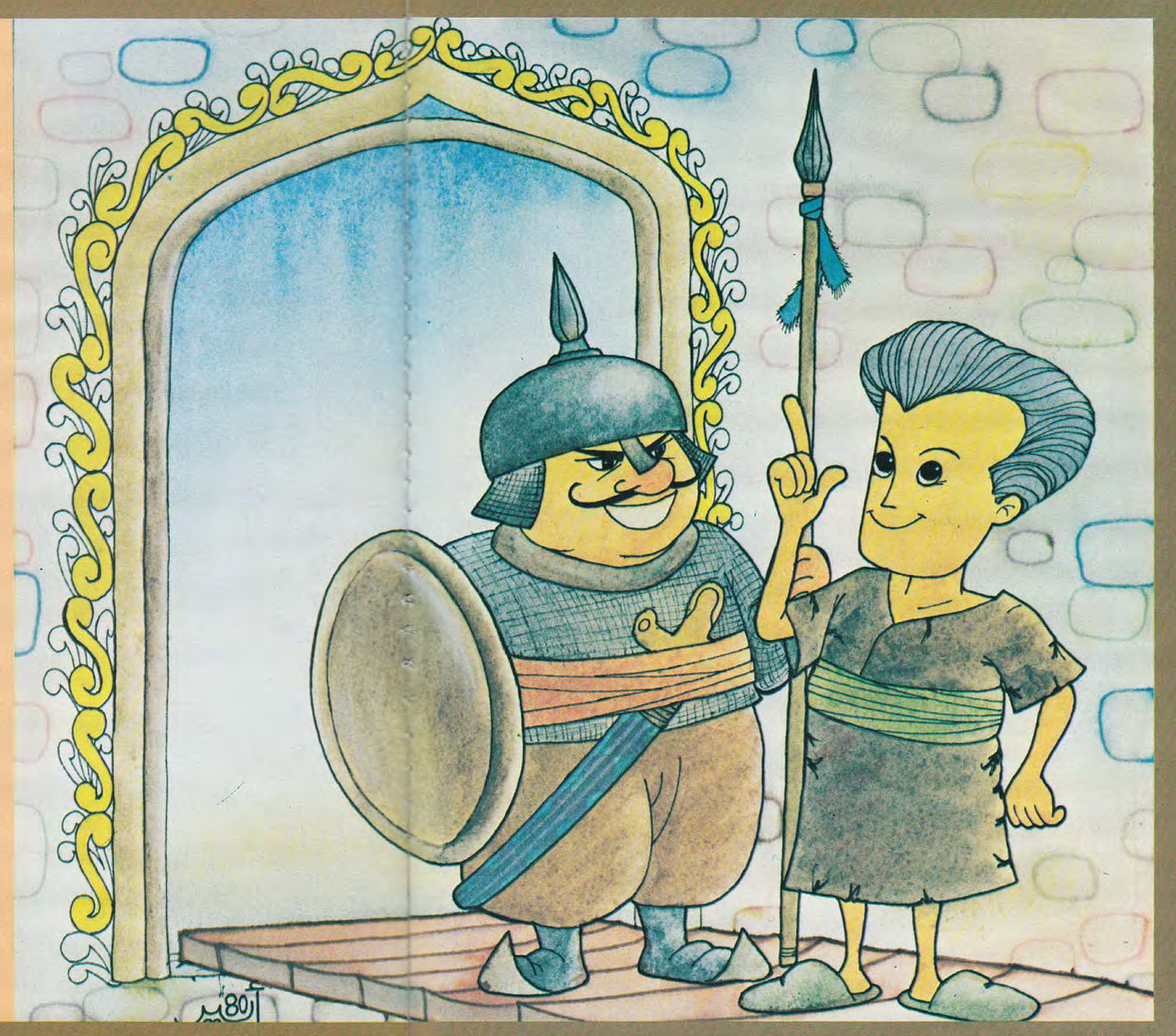
صرخ أحدُ الحرّاس :

– هيه.. أيها المُغَفَّل!.. كيف تجرؤ على الاقترابِ من قصر السلطان ؟

فأجابَ الفقيرُ، واسمُهُ سعيد :

– أولاً أنا إسمى سعيد وليس «المغفّل»، ثانياً إنَّ لَدَيَّ عَمَلاً مع السلطان.

قال الحارس هازئاً :



- هل يريد جلالة السلطان أن يُعَيِّنَكَ مُساعداً له . . ابتعِدْ قبل أن أفلقَ رأسَك بهذا السيف . .

راى سعيد أن الأمرَ لا يحتمل المزاح ، فاقتربَ من الحارس ، وقال :

- أنا أريدُ أن أعلّم حمارَ السلطان القراءةَ والكتابة ، فهل لك أن تأخذَني إلى جلالته .

وسَخِرَ الحارس ثانيةً :

- كبارُ عُلَماءِ المدينةِ لم يتجرّأوا على هذه المهمة ، وهاأنت تريدُها بكل بساطة . . هل أنت مجنون ؟

وطالَ الجَدَلُ بين الحارس وسعيد إلى أن اقتنعَ الحارسُ أخيراً ، فأوصلَ سعيد إلى السلطان حيث دارَ هذا الحوار :

السلطان : إذن تريدُ أن تُعَلِّمَ حماري ؟



سعيد : يشرّفني ذلك يامولاي .

السلطان : أتعرفُ إذا فشلتَ في مهمتك ماذا سأفعل ؟

سعيد : نعم يامولاي . . ستقطعُ رأسي .

السلطان : وما الذي يجعلُك تخاطرُ بنفسك ؟

سعيد : إنني لا أخاطرُ بنفسي يامولاي ، فقد سبقَ لي أن علّمتُ حماراً لي الغناءَ بأكثر من لغة .

وهنا فتح السلطان عينيه متعجّباً ، وتابعَ سعيد كلامه :

وكنتُ أربّي مجموعةً من الحمير والبغال وأتكلمُ معها كما أتكلمُ معك الآن يامولاي . .

وازداد تعجُبُ السلطانِ ، وتابعَ سعيد :

ولكن المسألةَ يامولاي مُتْعِبَةٌ ومُخَسِّرة ، فقد صرفتُ كلَّ ثروتي على ذلك .



غضبَ السلطانُ صائحاً :

- ماذا تقصد ؟ . . هل تستطيعُ أنت أن تصرفَ على مشروعٍ كهذا أكثرَ مني ؟ لا عليك . . مهمتُك فقط تعليمُ الحمار . أما المصروفات التي تحتاجُها فهي عَلَيَّ . . ثم ماذا يحتاجُ الحمار . . أقلاماً ؟

سعيد : أكثر .

السلطان : دفاتر؟

سعيد : أكثر .

السلطان : كتباً ؟

سعيد : أكثر .

السلطان : اسطبلاً ؟

سعيد : أكثر .

السلطان : أكثر . . أكثر . . ماذا تقصدُ بهذه الأكثر؟

سعيد : يامولاي الحمارُ غيرُ الإنسان .

السلطان : فعلاً . . هذا صحيح .

سعيد : ولهذا فهو يحتاج إلى أُمورٍ ثمينة حتى يتعلّم .

السلطان : كيف ؟ . . وضِّح أكثر .

سعيد : بصراحة يامولاي حمارُكم المحترم «زهران» يحتاج يومياً إلى خمس ليرات ذهبية ليأكلَها .

السلطان : حسناً سنعطيك يومياً خمس ليرات ذهبية . .

سعيد : وأرجو ألا تنسى معلّمَ حمارِك ، فأنا أيضاً سأحتاج إلى مصروف يومي ، لأنني سأتفرَّغ لتعليم الحمار .

السلطان : حسناً . . وبعد ؟ .

سعيد : والحمارُ عليه ألاّ يعيشَ في إصطبل ، بل يجب أن نبني له داراً جميلة ، حتى يرتفعَ مستواه ، وينسى عالَمَ الحمير ، ويقتربَ من عالَمِ البشر .



السلطان : هذا معقول أيضاً . ولكن متى سيكون حماري «زهران» قارئاً وكاتباً ؟

سعيد : بعد اثني عشر عاماً إن شاء الله . .

فغرَ السلطانُ فاه ، وقال غاضباً :

- كيف ذلك ؟ تريدني أن أقدِّم كل ذلك ، ثم أنتظرَ كلَّ هذه السنين ؟

سعيد : أرجوك يامولاي أن تتركني أوضح لك الأمر ، إسمح لي أن أسألك : كم يحتاج الإنسان من السنوات حتى يتعلم القراءة والكتابة ؟

السلطان : ست سنوات .

سعيد : حسناً . . والحمارُ أقلُّ قُدْرَةً من الإنسان بكثير . . لقد احتاجت حميري عشرين سنة حتى تعلَّمت . . ولكنني واثقٌ من قدرةِ حمارِكم المحترم «زهران» يامولاي . .



السلطان : آ . . آ . . معقول ياولد . . معقول . . فاتني ذلك . حسناً . إذن بعد اثني عشر عاماً سيكون لديَّ حمارٌ يقرأ ويكتب .

سعيد : إن شاء الله .

- ٥ -

خرج سعيد بكل هدوء ، وانتشرَ الخبرُ في المدينةِ كلِها ، وراحَ الناسُ يتحدثون عنه ، وهم بين مُصَدِّقٍ ومُكَذِّب ، بعضُهم يقول :

– لقد أعمى الطمعُ سعيد ، وأخيراً سَيقطعُ السلطانُ رأسَه ، لأنه لن يستطيعَ تعليمَ الحمار .

وقال آخرون :

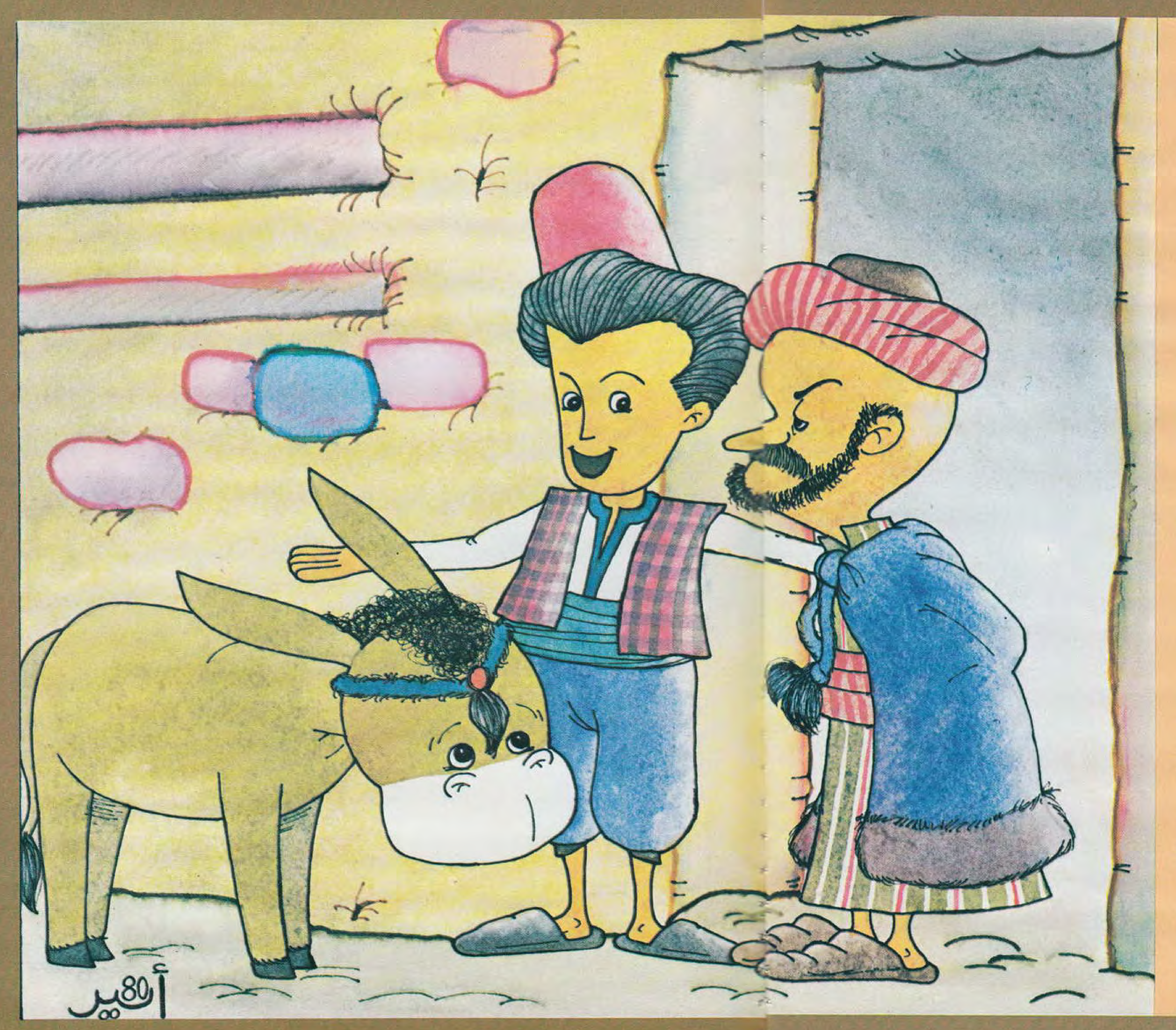
– سعيد مجنون ، والسلطانُ مجنونٌ أكثر منه .

وبعضُهم قال :

– لابد أن سعيد ساحر ، وإلا كيف يُقْدِمُ على هذا الأمر .

وصار سعيد يمرُّ مساءَ كلِّ يومٍ على القصر ، فيأخذُ خمسَ ليراتٍ ذهبية للحمار ، وخمسَ ليرات ذهبية له ، ويذهب .

بنى سعيد داراً جميلة على أطراف المدينة ، سكنها مع عائلته ، وأخذ يشتري أجملَ الثياب ، وأطيبَ المأكولات ، بينما أسكنَ الحمارَ في إصطبل بجانب الدار .



- ٦ -

أمرَ السلطانُ مُساعدَه أن يذهبَ إلى دار سعيد ، ليرى إلى أيِّ حَدٍ قد تَعَلَّمَ حمارُه «زهران» . فذهب مساعده ، ودخل دار سعيد ، فسأله :

- أين الحمار ؟

قال سعيد :

- في الاصطبل .

صاح المساعد :

- في الاصطبل ! . . ماذا تقول ؟ ألم تقل إن الحمارَ عليه أن يسكنَ في الدار ، سأُبلغُ السلطانَ بذلك .

أجاب سعيد بهدوء :

- سيّدي . . لا تتعجَّل الأمور . . دعني أشرح لك الأمر . . إن حمارَ جلالةِ السلطان يسكنُ معنا في الدار ، ولكنه اليوم لم يُحْسِنْ تَعَلُّمَ درسِهِ ، فقرَّرتُ أن أعاقبَه ، وذلك بأن أضعَه في الاصطبل عدَّةَ ساعات .